

من المحامين إلى القضاة والشرطة... صراعات مؤسسات السيسي تكشف انهيار الثقة وضياع العدالة



الأربعاء 28 يناير 2026 م 12:00

لم يعد الصدام في مصر حكراً على خط الفصل التقليدي بين الشعب والسلطة؛ بل امتد إلى قلب ما يفترض أنه "مكونات الدولة" نفسها: قضاة في مواجهة أكاديمية عسكرية، محامون في مواجهة النيابة، شرطة في مواجهة جيش، وأجهزة سيادية تتصارع على مقاعد البرلمان والنفوذ.

هذا التناحر الأفقي والعمودي داخل جسد الدولة يأتي متوازياً مع حالة فقدان عميقة للثقة بين الشعب والنظام، وتزداد اجتماعياً واقتصادياً غير مسبوق، مما يجعل من هذه الأزمات المتلاحقة أكثر من مجرد "خنقات مؤسسية"؛ بل مؤشرًا على تشققات بنوية تهدد ما تبقى من تمسك النظام نفسه.

أزمات متلاحقة: من "النزة" إلى القضاء والجيش والشرطة

آخر حلقات هذه السلسلة بدأت من نيابة النزهة شرق القاهرة؛ حين طرد مدير النيابة عدداً من المحامين من أمام مكتبه، ب-zAفاظ اعتبرها المحامون إهانة مباشرة، لينتهي الأمر بالتحفظ على الاثنين منهم وإحالتهم للتحقيق. المحامين كان حاداً: حشد ووقفة أمام مكتب النائب العام، ومطالبات بندب قاض مستقل ووقف وكيل النيابة عن العمل لكن المشهد اخْتُنَمَ بصورة معمكوسية تماماً: اعتذار نقابة المحامين للطرف المعتدي كما رأى المحامون، لتفجر موجة غضب واسعة على موقع التواصل، اعتبر فيها كثيرون ما جرى "تسليم كفن قلعة الحريات" وذروة "انبطاح النقابة".

في موازاة ذلك، تفجرت أزمة أخطر بين نادي القضاة والأكاديمية العسكرية حول نقل صلاحية تعيين وكلاء النيابة وترقيات القضاة إلى المؤسسة العسكرية، في سابقة تم تسجيلها في استقلال السلطة القضائية. نادي القضاة دعا لجمعية عمومية طارئة يوم 6 فبراير، وتسرّبت كشوف تعيينات دفعة 2022 كنوع من فرض الأمر الواقع في مواجهة محاولات الأكاديمية فرض قوائم بديلة.

على جبهة أخرى، شهدت الإسماعيلية في ديسمبر الماضي اشتباكاً مهيناً بين ضباط الجيش والشرطة بدأ بكسر ذراع ضابط مباحث، وتطور إلى حصار قسم شرطة الإسماعيلية ثان من قوة تابعة للجيش الثاني الميداني، قبل أن ينتهي الأمر باعتذار وفدى من الشرطة لضباط الجيش داخل مقر قيادته؛ في مشهد يكشف اختلال ميزان القوة داخل "أذوه السلاح" أنفسهم.

أما في السياسة، فدرب الأجهزة على مقاعد البرلمان لم تعدد سراً؛ إذ خاضت المخابرات العامة والمخابرات الدربية والأمن الوطني سباق نفوذ محموماً في انتخابات مجلس النواب، انتهى بتقسيم الغنيمة على أحزاب الواجهة:

- "مستقبل وطن" ذراع الأمن الوطني (277 مقعداً).
- "حمة الوطن" ذراع المخابرات الدربية (87 مقعداً).
- "الشعب الجمهوري" و"الجبهة الوطنية" كامتداد للمخابرات العامة (89 مقعداً مجتمعين).

في الخلفية أيضاً، تصاعدت أزمة بين نادي القضاة من جهة، والنيابة الإدارية وهيئة قضايا الدولة من جهة أخرى، بعد تبرؤ نادي القضاة من خروقات الانتخابات ورمي الكرة في ملعب هذه الجهات، لترد أنديةتها بثلاثة بيانات تتهم قضاة نادي القضاة بـ"النرجسية" وتحميل "الهيئة الوطنية للانتخابات" مسؤولية الفشل.

منطق الغلبة لا الشراكة: أجهزة تتغول على بعضها وعلى المجتمع

السياسي مجدي حمدان يلخص جوهر المشهد بقوله إن الأذطر من الأزمات نفسها هو طريقة إدارتها، التي كرسـت لمنطق الغلبة لا منطق الشراكة؛ من النيابة التي تغلبت على المحامين، إلى الأجهزة الأمنية التي اقتسمـت البرلمان، وصولـاً إلى المؤسـسة العسكرية التي تعد يدها إلى صـيم استقلال القضاء

حمدان يرى أن شكاوى القضاة اليوم من تغول سلطة أعلى على استقلالـهم، خصـوصـاً في ملف التعيينـات، تعـكس انهـيـاراً فـعلـياً لمـبدأ الفـصل بينـ السـلـطـاتـ، وـتحـوـلـ المؤـسـسـاتـ العـدـلـيةـ إـلـىـ دـوـاـئـرـ نـفـوذـ تـتـصـارـعـ عـلـىـ الـامـتـيـازـاتـ أـكـثـرـ مـعـاـ تـدـافـعـ عـنـ العـدـالـةـ

وبـضـيفـ أنـ هـذـهـ اللـحظـةـ هـيـ نـتـيـجـةـ تـرـاكـعـاتـ طـوـيـلـةـ مـنـ إـدـارـةـ الـخـلـافـاتـ بـعـنـطـقـ أـمـنـيـ وـإـدارـيـ، لـاـ بـعـنـطـقـ سـيـاسـيـ وـدـسـتـورـيـ، مـعـ غـيـابـ آـلـيـاتـ الـدـوـارـ الـمـؤـسـسـيـ وـالـاستـخـافـ بـتـواـزـنـاتـ دـقـيـقـةـ كـانـتـ تـمـثـلـ صـمـامـ أـمـانـ لـلـدـوـلـةـ

السياسي خالد سعيد يربط جذور الأزمة بـثلاثـ محـطـاتـ:

1. 25 يناير 2011 التي خلـلتـ "الـدـوـلـةـ العـمـيقـةـ".

2. انقلاب 3 يوليو الذي أعاد تمـيـنـ هـذـهـ الدـوـلـةـ فـيـ ثـوـبـ جـدـيدـ

3. إعادة التـصلـبـ معـ تـشـوـهـ تـرـيـبـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ الـأـجـهـزـةـ، بـيـثـ هـيـمـنـتـ الـمـخـابـرـاتـ الـدـرـيـبـةـ عـلـىـ الـمـخـابـرـاتـ الـعـامـةـ، وـسـيـطـرـ الـاثـنـانـ عـلـىـ الـأـمـنـ الـوـطـنـيـ، ثـمـ بـسـطـتـ هـذـهـ الـأـجـهـزـةـ سـيـطـرـتـهـاـ عـلـىـ الـقـضـاءـ وـالـإـلـاعـامـ وـالـاـقـتـصـادـ وـسـائـرـ أـجـهـزـةـ الدـوـلـةـ

سعيد يـعتبرـ أنـ إـقـالـةـ وزـيرـ الدـافـاعـ مـحمدـ زـكـيـ، وـرـئـيـسـ الـمـخـابـرـاتـ الـعـامـةـ عـبـاسـ كـامـلـ، وـالـعـقـيـدـ أـحـمـدـ شـعـبـانـ وـفـرـيقـهـ فـيـ أـمـمـ أـغـسـطـسـ 2024ـ، لـمـ تـكـنـ حـادـثـاـ عـابـراـ، بلـ عـلـامـةـ عـلـىـ صـرـاعـ دـاخـلـيـ شـرـسـ عـلـىـ تـرـيـبـ الـمـراـكـزـ دـاخـلـ هـرـمـ السـلـطـةـ، يـدـارـ بـعـيـداـ عـنـ أـيـ رـقـابـةـ أـوـ شـفـافـيـةـ، بـيـنـماـ يـتـرـكـ

الـمـجـتمـعـ كـلـهـ رـهـيـنـةـ لـهـذـهـ التـرـتـيبـاتـ الـمـتـقـلـبةـ

فيـ هـذـهـ السـيـاقـ، تـبـدوـ أـمـمـ الـمـغـتـرـيـنـ مـعـ الـحـكـومـةـ – بـعـدـ إـلـغـاءـ الـاعـفـاءـ الـجـمـعـيـ عنـ الـهـوـاـتـ وـفـرـضـ 38ـ%ـ جـمـارـكـ عـلـىـ الـمـصـرـيـنـ الـعـائـدـيـنـ – وـجـهـاـ آـخـرـ لـلـعـنـطـقـ نـفـسـهـ: سـلـطـةـ تـرـىـ فـيـ كـلـ فـتـةـ، مـنـ الـعـمـالـ إـلـىـ الـقـضـاءـ إـلـىـ الـمـغـتـرـيـنـ، مـصـرـ جـبـاـيـةـ أـوـ وـرـقـةـ ضـغـطـ، لـاـ شـرـيكـ فـيـ عـقـدـ اـجـتمـاعـيـ حـقـيـقـيـ

قضاء يفقد ظهيره الشعبي ومجتمع يدفع نحو "مجتمعات العبيد"

فيـ أـمـمـ الـمـحـامـيـنـ وـالـنـيـابـةـ، يـلـفـتـ الـمـتـحـدـثـ بـاسـمـ الـجـبـهـةـ الـسـلـفـيـةـ إـلـىـ أـنـ السـلـطـةـ حـسـمـتـ الـمـوقـفـ لـصـالـحـ "الأـقـرـبـ لـهـاـ"، أـيـ الـنـيـابـةـ وـالـقـضـاءـ، عـلـىـ حـسـابـ الـمـحـامـيـنـ، رـغـمـ أـنـ الـطـرـفـيـنـ وـجـهـانـ لـعـلـةـ وـاـدـدـةـ هـيـ الـعـدـالـةـ فـيـ أـيـ دـوـلـةـ مـحـترـمـةـ وـيـعـتـبـرـ مـاـ حـدـثـ "دـلـيـلـ قـطـعـيـ" عـلـىـ غـيـابـ

دـوـلـةـ الـقـانـونـ فـيـ عـهـدـ السـيـاسـيـ"، وـعـلـىـ اـتـسـاعـ شـرـيـحةـ جـدـيـدةـ مـنـ الـغـاضـيـنـ: الـمـحـامـيـنـ وـحـمـلـةـ الـقـانـونـ أـنـفـسـهـمـ

الـكـاتـبـ أـحـمـدـ حـسـنـ حـدـرـ مـنـ أـنـ مـؤـسـسـةـ الـقـضـاءـ "تـخـسـرـ ظـهـيـرـهـاـ الشـعـبـيـ": فـأـرـقـةـ الـمـحـامـيـنـ مـعـ نـيـابـةـ النـزـهـةـ لـنـ تـخـدـمـ الـمـجـلـسـ الـأـعـلـىـ لـلـقـضـاءـ فـيـ مـعـرـكـتـهـ مـعـ الـأـكـادـيـمـيـةـ الـعـسـكـرـيـةـ، بـلـ سـتـفـقـدـ الـقـضـاءـ مـاـ تـبـقـىـ لـهـ مـنـ تـعـاطـفـ شـعـبـيـ، إـذـ يـبـرـىـ الـآنـ كـجـزـءـ مـنـ مـاـكـيـنـةـ قـمـعـ، لـاـ كـدـامـ

الـحـقـوقـ وـالـدـرـيـاتـ

الـمـحـامـيـ بالـنـقـضـ سـيـدـ أـبـوـ عـبـلـةـ ذـهـبـ إـلـىـ تـوـصـيـفـ أـقـسـيـ، مـعـتـبـرـاـ أـنـ مـاـ جـرـىـ "نـمـوذـجـ يـجـسـدـ حـالـةـ السـادـيـةـ وـالـمـاـزوـخـيـةـ"، بـيـثـ تـسـتـغـرـقـ

مـؤـسـسـةـ مـؤـسـسـةـ أـخـرـيـ فـيـ ذـلـكـ مـتـبـادـلـ، فـيـ ظـلـ وـجـودـ مـاـ يـسـمـىـ "الـأـجـهـزـةـ السـيـادـيـةـ" فـوـقـ دـسـتـورـ يـقـولـ نـظـرـيـاـ إـنـ السـيـادـةـ لـلـشـعـبـ، وـاـصـفـاـ

الـوـضـعـ بـأـنـهـ أـقـرـبـ إـلـىـ "مـجـتمـعـاتـ العـبـيدـ".

أـمـاـ الـمـحـامـيـانـ أـيـمـنـ عـطـالـلـهـ وـأـسـعـدـ هـيـكـلـ فـيـتـفـقـانـ عـلـىـ أـنـ الـأـمـمـ بـيـنـ الـقـضـاءـ وـالـمـحـامـيـنـ عـمـيقـةـ وـمـعـتـدـةـ: تـحـوـلـتـ مـنـ عـلـاقـةـ شـرـاكـةـ وـتـكـامـلـ

إـلـىـ نـديـةـ وـتـنـافـرـ، وـأـنـ اـعـتـذـارـ نـقـابـةـ الـمـحـامـيـنـ لـلـنـيـابـةـ لـمـ يـنـهـ شـيـئـاـ، بـلـ عـمـقـ إـحـسـاسـ الـمـحـامـيـنـ بـأـنـهـمـ الـحـلـقـةـ الـأـضـعـفـ فـيـ مـعـادـلـةـ يـقـرـرـ أـنـهـاـ

قـائـمـةـ عـلـىـ التـكـافـؤـ أـمـامـ الـقـانـونـ

فيـ الـمـحـكـمةـ، تـبـدوـ أـمـمـ الـيـوـمـ أـمـامـ مـشـهـدـ خـطـيرـ

• مـؤـسـسـاتـ تـتـصـارـعـ عـلـىـ النـفـوذـ وـالـامـتـيـازـاتـ

• قـضـاءـ يـفـقـدـ اـسـتـقـالـهـ وـثـقـةـ النـاسـ

• أـجـهـزـةـ أـمـنـيـةـ وـعـسـكـرـيـةـ تـتـنـاـحـرـ وـتـقـاـسـمـ الـبـرـلـانـ وـالـدـوـلـةـ

• مـجـتمـعـ مـسـحـوقـ بـيـنـ الـغـلـاءـ وـالـقـمـعـ، يـفـقـدـ إـيمـانـهـ بـكـلـ مـاـ يـسـمـىـ "مـؤـسـسـاتـ".

كـمـ قـالـ مجـديـ حـمـدانـ، دـوـلـةـ قـوـيـةـ لـاـ تـبـنـىـ بـتـغـلـيـبـ مـكـوـنـ عـلـىـ آـخـرـ، بـلـ بـتـواـزـنـ الـجـمـيعـ تـحـتـ مـظـلـةـ الـقـانـونـ وـبـثـقـةـ مـتـبـادـلـةـ تـحـفـظـ هـيـبـةـ الـدـوـلـةـ

وـحـقـوقـ الـمـوـاـطـنـيـنـ مـعـاـ مـاـ نـرـاهـ الـيـوـمـ هـوـ الـنـقـيـضـ تـعـاـمـاـ: دـوـلـةـ ثـدـارـ بـمـنـطـقـ "الـغـالـبـ وـالـمـغـلـوبـ" دـاـخـلـهـاـ، قـبـلـ أـنـ تـطـبـقـهـ عـلـىـ شـعـبـهـاـ

